(٢٤) خطبة له ﷺ
فى الترغيب فى تعليم الناس وتفقيههم، والترهيب من ترك ذلك

عن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جده، قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً[١]، ثم قال:

«مَا بَالُ أقوامٍ لا يُفقِّهون جِيرانَهم[٢]، ولا يُعلِّمونهم، ولا يَعِظُونهم، ولا يَأمرونَهم، ولا ينهونَهم، وما بالُ أقوامٍ لا يتعلَّمون مِنْ جيرانِهم، ولا يتفقَّهون، ولا يتَّعظون. واللهِ ليُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جيرانَهم، ويفقِّهونهم، ويَعِظونهم، ويَأمرونَهم، ويَنهونَهم، وليتعلَّمَنَّ قومٌ مِنْ جيرانِهم، ويتفقَّهون، ويتَّعظون أو لأُعاجِلَنَّهُمُ العُقوبةَ». ثم نزل فقال قوم: من ترونه عَنَى[٣] بهؤلاء؟. قال: **الأشْعَرِيِّين[٤]، هُمْ قومٌ فُقَهَاء، ولهمْ جيرانٌ جُفَاة مِنْ أهلِ المياهِ**

---

(١) أى: مدح أصنافاً من المسلمين بما فيهم من أخلاق كريمة وأعمال صالحة تستوجب الثناء.

(٢) يعنى: ما شأن رجال لا يعلمون جيرانهم ما يحتاجون إليه من فقه الدين، فإن ذلك من حق الجار على جاره.

(٣) يقال: أعناه بالخطاب يعنيه.. إذا قصده.

(٤) نسبة إلى «أشعر» قبيلة يمنية كبيرة، وهم رهط أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

والأعْرابِ[1]. فبلغ ذلك الأشعريين ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله . . ذكرت قوماً بخير ، وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ . فقال :

« **لَيعلَّمنَّ قومٌ جيرانَهم ، ولَيعظنَّهم ، ولَيأمرنَّهم، ولَينهونَّهم ، وليتعلمنَّ قومٌ منْ جيرانِهم ، ويتَّعظون، ويتفقَّهون، أو لأُعاجلنَّهم العقوبةَ فى الدُّنيا** ». فقالوا : يا رسول الله . . أنفطِّن غيرنا ؟ . فأعاد قوله عليهم ، فأعادوا قولهم : أنفطِّن غيرنا ؟ . فقال ذلك أيضاً ، فقالوا : أمهلنا سنة . فأمهلهم سنة ليفقِّهوهم ، ويعلِّموهم، ويعظوهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية :

﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾[2] الآية .

(رواه الطبرانى فى الكبير عن بكر بن معروف عن علقمة)

فى هذه الخطبة الجامعة ـ كما قرأنا ـ ترغيب فى تعليم وتفقيه الجاهلين ، وترهيب من عدم تنفيذ ذلك من جانب المتعلمين الذين أكرمهم الله تعالى بالعلم النافع الذى يجب عليهم ـ شكراً لله تعالى ـ أن يعلِّموه غيرهم . . وذلك حتى يعمَّ الخير وينتشر النور .

---

(١) معنى جفاة : من الجفاء وهو الغلظة والبعد عن الأدب وقلة الفقه والعلم ، ومعنى من أهل المياه : أى : من أهل البادية الذين ينزلون بأماكن المياه والرعى .

(٢) سورة المائدة : ٧٨ .

وفى القرآن الكريم يقول تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ[1] أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[2] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[3] .

وفى الحديث الشريف ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« عُلماءُ هذه الأمَّة رجلانِ : رجلٌ آتاه الله عِلْماً ، فَبَذَلَهُ للنَّاسِ ولمْ يأخذْ عليه طمعاً، ولمْ يشترِ به ثَمناً ، فذلكَ تستغفرُ له حيتانُ البَحْرِ، ودَوابُّ البَرِّ ، والطيرُ فى جَوْفِ السَّماء . ورجلٌ آتاهُ اللهُ علْماً، فبخلَ به عَنْ عِبَادِ الله ، وأخذَ عليه طمعاً، واشترَى به ثَمناً ، فذلكَ يلجمُ به يومَ القيامة بلجامٍ منْ نارٍ ، ويُنادى منادٍ : هَذا الَّذى آتاهُ اللهُ عِلْماً فبخلَ به عَنْ عِبَادِ الله ، وأخذَ عليه طَمعاً، واشترَى به ثَمناً ، وكذلكَ حتَّى يفرغَ الحِسَاب » .

(رواه الطبرانى فى الأوسط ، قال الحافظ المنذرى : فى إسناده عبد الله بن خراش ، وثقه ابن حبان وحده ، فيما أعلم) .

---

(١) البصيرة : أى : البيّنة والحجّة ، والآية تفيد أن الداعى لابد له من معرفة الكتاب والسنة والفقه فيهما .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٣) سورة البقرة : ١٥٩ .

فلنكن إن شاء الله تعالى جميعاً طلاباً للعلم :

فلولا العِلْمُ ما سَعِدَتْ نفوسٌ ... ولا عُرِفَ الحَلالُ من الحَرَام

فَبالعِلْمِ النَّجاةُ مِنَ المَخَازى ... وبالجَهْلِ المَذَلَّةُ والرَّغَام(١)

هُوَ الهَادِى الدَّليلُ إلى المَعَالِى ... ومِصْبَاحٌ يُضَاءُ به الظَّلام

ولنكن ـ بالإضافة إلى هذا ـ من المعلِّمين لغيرنا حتى نكون من الموفَّقين الذين نفروا :

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٢) .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خيرًا يفقِّهه فى الدِّين »..

(رواه البخارى، ومسلم، وابن ماجه ، ورواه أبو يَعلى وزاد فيه : **«ومَنْ لَمْ يفقِّهه لَمْ يُبالِ به »**) .

نسأل الله تعالى أن يفقِّهنا فى ديننا . .

اللهم آمين .

* * *

(١) الرغام ـ بالفتح ـ : التراب ، وأرغم الله أنفه ، أى : ألصقه .

(٢) سورة التوبة : ١٢٢ .